صمت
وصمت لساني وقلبي وفي الصمت اشارة الى الكف وفي الذكر اشارة بقوله وصمت
وذكر لله تعالى قال صلى الله عليه وسلم تشيعه ملائكة السموات السبع وليست
في رواية المنذري حتى تقطع تجاوز وتخرق به الحجب كلها وهي كثيرة وورد
في اثر عن مجاهد بين الله وبين العرش سبعون الف حجاب الى الله تعالى اي
يجاوزون الى حضرة الله تعالى التي هي وراء الحجب تعالى الله عن المكان والزمان
وشوائب الحدثان فيقفون بين يديه اي لدى حضرته المقدسة وله تعالى
حضرات وراء الحجب المذكورة اعلاها حضرة قاب قوسين او ادنى ويكنى بالحضرات
عن المقامات للكمل من الملائكة والبشر قال تعالى حكاية عن ملائكته الكرام وما
منا الا له مقام معلوم وفي بعض الاخبار عن جبريل او اسرافيل ما معناه يا
محمد هذا مقامي لو تجاوزته لاحترقت ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص
لله تعالى بحسب علمهم قال صلى الله عليه وسلم ويقول الله تعالى في ذلك
الموقف لهم انتم الحفظة على عمل عبدي اي عمله الظاهر ما سوى القلب وانا
الرقيب الحفيظ على قلبه موطن الاخلاص وضده وفي نسخة على نفسه بمعنى
قلبه وقصده انه لم يردني بهذا العمل لما كان هذا النفي يصدق لعدم الارادة
المطلقة قال فانما اراد به غيري فعليه لعنتي الطرد عن رحمتي فتقول الملائكة
الحفظة او هم غيرهم كلها عليه لعنتك ولعنتنا ولعنة السموات السبع ومن فيهن
لما شهدوا بالعمل الصالح الدال على حوالا تدرك ما صرحه لعدا جوالى التبري من ذلك بهذه
المقالة واسناد اللعنة للسموات اما حقيقة شرعية انما ينطقهم الله بلعنته واما
مجاز الكناية عن الحاقها في حكم لاعنه مبالغة في توبيخه وفي رواية المنذري
وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا الى اخرها وحاصل الاثر ان صاحب
عمل المخلص يواليه الله ورسوله وملائكته وسائر خلقه واليه يشير من بعد قوله
تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفي
الكلام على هذه الاية واية من كان عدوا لله وملائكته الاية يستفاد نكت وحكم
ما في نظيرها في هذا الحديث فلا حاجة الى الاطالة بذكرها فلتطلب من ذلك في
كلام محققي المفسرين والمعانيين واعلم انه ورد في هذا الحديث تسجيل
على غير المخلص وتوبيخه في موطنين احدهما دل الكلام فيه ان الملك يطلع على
عدم اخلاصه والثاني على خلافه فما الجمع بينهما ولعل الجواب انه يقال يختلف
الحال باختلاف الناس واما حكم توبيخه في موطنين وذكره في محلين من الحديث
للاهتمام بشان الاخلاص لانه لا يليق الا بالخواص وهم فيه بل خواصهم على خطر
على ما ورد في الاثر والخبر ثم بكى معاذ بن جبل فانتحب انتحابا شديدا
اي بكى بكاء بصوت طويل ومد وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انت
رسول الله وانا معاذ فكيف لي بالخلاص والنجاة اي السلامة من ذلك اي العمل
الصادق بجميع انواع العمل السابقة وفي نسخة كيف النجاة مما ذكرت قال صلى الله عليه وسلم

اقتد بي

(٣٢)

اقتد بي اي اتبعني فان الاتباع فيه الخير كله وان اي ولو كان في عملك تقصير اي
نقص وكنت كثير العمل فان الاتباع يخلصك وينجيك ويحتمل انها ليست وصلية
بل ابتداء كلام اي وان كان في عملك تقصير وفي نسخة نقص يا معاذ وفي
نسخة اقتد بسنة نبيك في اليقين يا معاذ حافظ على لسانك وخص المحافظة
بالذكر لما تقدم وقع افات اللسان وعظيم ضررها الوقيعة في اخوانك المؤمنين
بل واهل الذمة لانك ممنوع عن الوقوع في اعراض المعتبين منهم وفي نسخة فاقطع
لسانك عن الوقيعة في الناس وعن اخوانك وليكن من ازمة لسانك حفظه عن
ملاحظة عيوب الخلائق نفسك باشتغالك بها واشتغالك بالذكر ولو اللساني
فانه يرقيك الى الجناب الرافع الى الجنان وليس تنصيصه على قوله من
حملة القران اخراج ما ذكر بل للاهتمام بالجملة لاسيما وقد قيل ان اغتيابهم كبيرة
اتفاقا فليس من محل النزاع في شيء فان الحامل يشرف بشرف المحمول وهل يدخل في
حملته من اشتغل بتلاوته نظرا او قراءته تعلما وحفظ طرفا منه او يختص الحامل بحفظه
عن ظهر غيب بحيث يعد حافظا عرفا الظاهر الثاني ثم رايت بعضهم فهم ان
المراد بحمله من يحفظ ولو الفاتحة وان المراد بهم جميع المسلمين قال لانهم ما فيهم
احد الا وهو يحفظها وهو بعيد وكانه يشير الى ما ذكرته من التعميم في اخوانك
المؤمنين واحمل ذنوبك عليك لا تحملها عليهم اي الاخوان قال تعالى ولا
تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس وازرة حمل اخرى وكان المراد في الحديث
انسب تقصيرك الى نفسك لا الى غيرك ولا تنسب مطلقا الا على سبيل الشكر لحديث
التحدث بالنعمة ولا تزكها بذمهم اي الاخوان ولا ترفع على سبيل الكبر والتجبر
نفسك التي لم تطهر من عيوبها عليهم اي الاخوان فان وصفهم بكونهم حملة
القران بل كونهم اخوانك في الايمان كاف في نهيك عن التحمل والتزكية والترفع
ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الاخرة اي لا تخلطهما فانهما ضدان فلعل واحد عمل
يخصها فاعمل كلا على حدة ان كان ولا تزيل من عمل الدنيا وهذا الايماء في قوله
تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ولان عمل من لم
يخلط اتم وافضل ولا يابي الخلاف في ايهما افضل من خلط وتاب وبدلت سيئاته
حسنات او لم يرتكب اثما فقط بحيث كانت حسناته اقل ولا تراءي من الرياء
بعملك لانه الشرك الاصغر كما في صحيح الخبر ولما نهى عن التكبر مطلقا في قوله
ولا ترفع نفسك عليهم وكان تكبر الشخص في محل فيه زيادة قبح وتنفير عنه خصه بالذكر
فقال ولا تتكبر في مجلسك وعلل ذلك بقوله لكي يحذر الناس اي اخوانك
الجملة واكثر منهم من سوء خلقك فان التكبر جماع سوء الخلق كما اشعرت به العبارة وان
لم تكن نصا فيه والمراد انك لا تجعل التكبر في مجلسك مطاردة للناس عنك وجعل النهي عن
التكبر في المجالس ستة وعد في اداب ثلاثة من اداب المجالس مثالك
اولها قوله ولا تتكبر ثانيها قوله ولا تناجي من المناجاة بمعنى المسارة

المحمل ن
النقع ع
لعله تحملته
في شغلك التحلة على غيرك ولا تنسب نقصانك ع مطلقا

جامعة الرياض
Copyright © King Saud University